

## مقاصد الخطاب السياسي في القرآن

# The purposes of political discourse in the Qur'an

رضوان جمال الأطرش

ماهر غزالي

Radwan Jamal Elatrash<sup>1</sup> – Mahir Ghazali<sup>2</sup>

### Abstract

This research aims to reveal the purposes of the political discourse within the holy Quran, through tracking the verses that deals with this aspect. and talking about this issue has less research. So, the researchers attempts to use the inductive approach to examine the verses as well as the scientific materials related to it, then use the analytical method to analyze these verses, then presenting it in comparison with books of Tafsirs and scholarly literature, therefore looking into scholars' views and opinions. It turns out that the purposes of political discourse in the Qur'an are based on three aspect, firstly: Purposes related to religious sovereignty such as sharia arbitration and establishing the principles of loyalty. Secondly: Purposes related to disciplining of the character of the ruler such as promoting the values of justice and quality, application of the Shura'a rulings. Thirdly: Purposes related to reshaping the societal identity in terms of rooting the concepts of unity and cohesion there of rationalization of the principle of obedience.

**Key words:** purposes, discourse, politics, Qur'an.

### مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد! فإن السياسة اليوم تعتبر من أهم المجالات المؤثرة على حياة الناس، وذلك لدورها المباشر في كيفية إدارة شؤونهم، وبناء علاقاتهم الداخلية والخارجية، ولهذا جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء»<sup>3</sup> فالسياسة إذاً من الناحية الشرعية انعكاسٌ لجملةٍ من المبادئ الأصيلة، والذي يقوم عليها هم أهل الصلاح

<sup>1</sup> أستاذ مشارك في قسم دراسات القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية. radwan@iium.edu.my

<sup>2</sup> طالب في قسم دراسات القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية. maherkalantan@gmail.com

<sup>3</sup> مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، الصحيح، عناية: نظر محمد الفارابي، (الرياض: دار طيبة، ط1، 1427هـ/2006م)، كتاب الإمارة، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، ص894، رقم1842.

والتقوى، وهي في الجوهر محاولة إصلاح أحوال الناس في أمور دينهم ودنياهم، ومن ذلك تعزيز القيم والمبادئ الإسلامية فيهم مع تحقيق التنمية لهم دائماً، يشير عبدالوهاب خلاف إلى هذا فيقول: "السياسة العادلة لأية أمة هي تدبير شؤونها الداخلية والخارجية بالنظم والقوانين التي تكفل الأمن لأفرادها وجماعاتها والعدل بينهم، وتضمن تحقيق مصالحهم وتمهيد السبيل لرفيقتهم وتنظيم علاقتهم بغيرهم"<sup>4</sup>. وهذا يعني أن السياسة في الإسلام لها خصائص تميزها عن غيرها، فهي ربانية المصدر، وشاملة أيضاً لخيري الدنيا والآخرة، بخلاف السياسات الأخرى التي يغلب عليها الطابع الدنيوي فقط<sup>5</sup>.

وباعتبار أن القرآن كتاب الله ﷻ الخالد الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ ليكون تبياناً لكل شيء، ودستوراً يُهتدى به، فكان من الطبيعي أن يأتي بنظام متكامل لإدارة هذه الحياة، بل وليبين للناس الهدف الذي خلِقوا من أجله، قال تعالى مشيراً إلى هذا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:56]. وهذه العبودية لله لا يمكن لها أن تتم إلا من خلال إدارة الناس وفق منهج الله، وسياساتهم سياسةً شرعيةً، ومن وسائل تحقيق ذلك محاولة معرفة المقاصد التي يريد بها الله في القرآن، والتي تارةً ما تكون مبثوثةً على هيئة خطاب اجتماعي، أو خطابٍ سياسي، ونحو ذلك.

وبناءً عليه يمكننا القول إنه من المهم بمكان معرفة مقاصد الخطاب السياسي في القرآن، والبحث عن أهدافه وغاياته، ثم استثمار ذلك الفهم في محاولة سياسة الناس سياسةً عادلةً، ما يكون مؤداه تحسين جودة الحياة لهم، وتغيير واقعهم نحو الأفضل حتى تتم الغاية المنشودة من كل ذلك، وهو تحقيق العبودية لله ﷻ ثم عمارة هذه الأرض، وحسن الاستخلاف فيها.

#### أولاً: تعريف المقاصد لغةً واصطلاحاً

المقاصد لغةً: جاء في بعض المعاجم أن المقاصد جمع مقصدٍ، ومادته قصد، ولها عدة مدلولاتٍ كاستقامة الطريق، أو التوسط والاعتدال<sup>6</sup>. إلا أن الغالب عند إطلاقها أنها تذهب مباشرةً إلى معنى العزم على فعل شيء، أو السير نحو اتجاهٍ ما.

<sup>4</sup> عبد الوهاب خلاف، السياسة الشرعية، (القاهرة: المكتبة السلفية، د.ط، 1350هـ)، ص18.

<sup>5</sup> انظر: محمد عمارة، الإسلام والسياسة، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط1، 1429هـ/2008م)، ص36.

<sup>6</sup> انظر: أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الفكر، د.ط، 1399هـ/1979م)،

ج5، ص95. وانظر: محمد بن مكرم بن علي بن أحمد ابن منظور الأفيقي، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، د.ط، د.ت)، ج3، ص353.

**المقاصد اصطلاحاً:** ذكر العلماء تعريفاتٍ متعددةٍ لمعنى المقاصد، وذلك بحسب ما أضافوا إليها من جوانب كجانب المقاصد الشرعية، أو مقاصد القرآن، ونحو ذلك<sup>7</sup>. والتعريف الذي نعتمد عليه هنا ما أشار إليه بعض الباحثين فقال بأن المقاصد القرآنية تعني: "القضايا الأساسية والمحاور الكبرى التي دارت عليها سور القرآن الكريم وآياته، تعريفاً برسالة الإسلام، وتحقيقاً لمنهجه في هداية البشر"<sup>8</sup>. وهذا يعتبر أقرب تعريفٍ يُبين للقارئ فكرة هذه المقالة.

ومما يجدر الإشارة إليه أن هناك ثمة تقاربٌ بين مفهومي المقاصد القرآنية والمقاصد الشرعية، فبينهما تلازمٌ، وعمومٌ وخصوصٌ، إلا أن الذي يظهر لنا أن المقاصد القرآنية أوسع وأشمل، فيصح أن يُقال إنه لا يُتوصل إلى معرفة المقصد الشرعي إلا من خلال إيمان النظر في المقصد القرآني، فيحصل بذلك فهم الآية وفق مراد الله ﷻ وعلى الوجه المطلوب شرعاً.

#### ثانياً: تعريف الخطاب لغةً واصطلاحاً

**الخطاب لغة:** ذكرت المعاجم العربية أن الخطاب مصدر خطب، وهو بمعنى الشأن أو الأمر، ومنه قولهم جلّ الخطاب أي عظم الأمر، والخطاب والمخاطبة بمعنى مراجعة الكلام<sup>9</sup>.

**الخطاب اصطلاحاً:** لم يختلف العلماء كثيراً حول المعنى الاصطلاحي للخطاب، ولهذا جاءت تعريفاتهم لها بشكلٍ متقاربٍ<sup>10</sup>. وبناءً عليه فإن التعريف الذي نعتمده هنا قول بعضهم بأن الخطاب يعني: "توجيه الكلام نحو الغير للإفهام"<sup>11</sup>.

#### ثالثاً: تعريف السياسة لغةً واصطلاحاً

<sup>7</sup> انظر: عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، مراجعه: طه عبد الرؤوف سعد، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، د.ط، د.ت)، ج1، ص8.

<sup>8</sup> مسعود بو دوخه، جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن الكريم، (المغرب: المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه)، ص956.

<sup>9</sup> انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص361. وانظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج2، ص198.

<sup>10</sup> انظر: أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، عناية: عدنان درويش، محمد المصري، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1419هـ/1998م)، ص419.

<sup>11</sup> محمد علي التهانوي، موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، عناية: رفيق العجم، وآخرون، (بيروت: مكتبة لبنان، ط1، 1996م)، ج1، ص749.



السياسة لغةً: جاء في المعاجم العربية أن السياسة من مادة سوس، وتعني الأمر والنهي، فيقال: سُستُ الرعيّة سياسةً أي أمرتهم ونهيتهم. وساس الأمر سياسةً، أي قام على شؤونهم<sup>12</sup>.

السياسة اصطلاحاً: تعددت الآراء حول تعريف السياسة، إلا أننا هنا سنعتمد على تعريفين فقط لمساهمتها في بيان مضمون المقالة، فالسياسة عند الكفوي: "استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في العاجل والآجل"<sup>13</sup>. وفي القاموس السياسي أن السياسة إذا أطلقت فهي غالباً تعني فن إدارة الدولة، وتنظيم شؤونها داخلياً، وكذلك النظر في العلاقات بين الدول<sup>14</sup>.

وبعد الرجوع إلى بعض المعاجم القرآنية نلاحظ خُلُوَّ القرآن من مصطلح السياسة، مع وجود كلماتٍ مرادفةٍ لها كالتمكين والاستخلاف والحكم والملك<sup>15</sup>. وعدم وجود مصطلح السياسة لا يعني انتفاء المفاهيم السياسية في القرآن، إذ أن المفردات المرادفة لها تعتبر كافيةً في بيان المسألة التي نريدها، يؤكد هذا المفهوم محمد عمارة فيقول: "فالسياسة.. كالمملك.. والدولة.. مصطلحات عامة في كل النظم والحضارات.. لا مشاحة في وضعها ولا في استعمالها.. لكن المضامين، في هذه المصطلحات تتمايز بتمايز النظم والحضارات"<sup>16</sup>.

#### رابعاً: مفهوم مقاصد الخطاب السياسي في القرآن

بناءً على ما سبق ذكره من تعريفاتٍ، يمكننا القول إن المراد بمقاصد الخطاب السياسي في القرآن هو: الخطاب الذي ذكره الله ﷻ في كتابه، والذي يسعى من خلاله إلى تحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة، من إيمانٍ وأمنٍ واستقرارٍ مع إدارة شؤونهم على الوجه المطلوب شرعاً.

#### خامساً: مقاصد الخطاب السياسي في القرآن

من الأمور المسلّمة بها أن الله ﷻ وضع في القرآن كثيراً من الفوائد التي دأب العلماء والمفسرون طيلة حياتهم بحثاً عنها، واستنباطاً لها، ومن جملة هذه الفوائد المقاصد التي بثّها الله بين ثنايا الآيات، منها ما جاء ضمن سياق الخطاب السياسي

<sup>12</sup> ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج3، ص119.

<sup>13</sup> الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص510.

<sup>14</sup> انظر: أحمد عطية الله، القاموس السياسي، (القاهرة: دار النهضة العربية، ط3، 1968م)، ص661.

<sup>15</sup> انظر: أحمد مختار عمر، المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، (الرياض: مؤسسة سطور المعرفة، ط1، 1423هـ/2002م)، ص426.

<sup>16</sup> محمد عمارة، الإسلام والسياسة، ص39.



في القرآن، وإذا أعمت النظر فيها نجد أنها في الجمل تحمل ثلاثة مقاصد رئيسية: إقامة السيادة الدينية، ثم إعادة تشكيل هوية المجتمع، وأخيراً تهذيب شخصية الحاكم، وبيانها على النحو التالي:

#### المقصد الأول: إقامة السيادة الدينية

يعتبر هذا المقصد من أجل مقاصد الخطاب السياسي في القرآن، وذلك لأن أي نظامٍ سياسيٍ حتى وإن بدا ظاهراً عليه العدل والمساواة بين الناس إلا أنه في الحقيقة لا قيمة له البتة ما دام مخالفاً في أصله لشريعة الله ﷻ وهذا ما أشار إليه الماوردي حيث قال: "الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا"<sup>17</sup>. والمفهوم هنا أن حراسة الدين تعدّ الجزء الأهم في السياسة، ولهذا كان من الواجب تحقيق السيادة الدينية في المجتمع حتى تكون مظهراً من مظاهر الحكم فيه، ولا يتم هذا إلا من خلال عدة أمور:

#### الأمر الأول: تحكيم شريعة الله ﷻ:

عندما أمر الله ﷻ الإنسان بالاستخلاف في الأرض، فإنه لم يتركه هكذا بلا منهج ولا طريقة، بل قام ببيان السبيل الذي يجب عليه أن يسلكه حتى يقوم بأداء رسالته الإنسانية على أكمل وجه، من هنا جاءت الحاجة إلى تحكيم شريعة الله في جميع المسائل حتى يتحقق للإنسان معنى التوحيد والعبودية لله وحده، وهذا يشير إلى أن صلاح الناس مرتبط بالامتثال لأوامر الله، وعلى قدر التمسك به يكون نجاحهم في الدنيا والآخرة.

ونظراً لأهمية تحكيم الشريعة في حياة الناس، وأنها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بسيادة الدين نجد أن الله ﷻ قد أمر بما في كثير من الآيات فقال تعالى: ﴿فَاَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: 48]. قال ابن كثير في تفسير الآية: "فاحكم يا محمد بين الناس: عرهم وعجمهم، أميهم وكتابيهم ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ إليك في هذا الكتاب العظيم، وبما قرره لك من حكم من كان قبلك من الأنبياء ولم ينسخه في شرعك"<sup>18</sup>. مما سبق يتبين لنا أن الخطاب السياسي في القرآن يقوم بتوجيه الحاكم المسلم إلى أهمية تحكيم الشريعة، وأنها الأساس الذي تقوم عليها السيادة الدينية في أي مجتمع، ولهذا فهي تعتبر مظهراً من مظاهر الحكم الإسلامي، وقاعدة له دائماً.

<sup>17</sup> علي بن محمد بن حبيب الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، (الكويت: مكتبة دار ابن قتيبة، ط1، 1409هـ/1989م)، ص3.

<sup>18</sup> إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: مصطفى السيد محمد، وآخرون، (القاهرة: مؤسسة قرطبة، وأولاد الشيخ، ط1، 1420هـ/1990م)، ج3، ص128.



وفي مقابل ذلك قام القرآن بالتحذير من مغبة ترك هذا الأمر، فقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: 50]. يقول سيد قطب في معنى الآية: "إن معنى الجاهلية يتحدد بهذا النص، فالجاهلية - كما يصفها الله ويحددها قرآنه- هي حكم البشر للبشر، لأنها هي عبودية البشر للبشر، والخروج من عبودية الله، ورفض ألوهية الله، والاعتراف في مقابل هذا الرفض بألوهية بعض البشر"<sup>19</sup>. يتبين لنا هنا أن تحكيم الشريعة يعتبر من المسائل المهمة التي نادى بها الخطاب السياسي في القرآن، فلا مساومة عندها أبداً، ولهذا جعل الله أي حكمٍ يخالف حكمه نوعاً من أنواع العودة إلى الجاهلية والتخلف، ولو جاء في قالب التقدم والحضارة.

وحتى يرسخ العلماء أهمية تحكيم الشريعة في أذهان الحكام والعامّة قاموا بالحديث عن الجوانب التي تميزت بها الشريعة فذكروا أنها ربّانية المصدر، فهي من عند الله ﷻ وهذا يقتضي منها العصمة والأبدية، وأنها أيضاً خالصة من أي عيبٍ ونقصٍ، وإن بدا غير ذلك فإنه عائدٌ إلى قصور أفهام العلماء في استنباط ما احتاج إليه الناس، إضافةً إلى أنها تعتبر شاملةً ومستوعبةً لجميع جوانب الحياة الإنسانية فهي تنظم شؤون الناس السياسية والاقتصادية وغير ذلك<sup>20</sup>. وبناءً عليه يمكن القول أن من مقاصد الخطاب السياسي في القرآن تعزيز سيادة الدين، ولا يتم ذلك إلا بتحكيم الشريعة وترك ما يناقضها، ولهذا فإن الأحكام الوضعية اليوم والتي هي من اجتهادات البشر، تعتبر قاصرةً عن إدراك مكنون الخفايا الإنسانية، وما الذي يصلح للمجتمعات من عدمه، وهذا يعني أنها غير قادرةٍ على الموازنة بين الجانب الروحي والمادي في حياة الناس، وفي المجمل فإن تحكيم الشريعة كفيلاً بخلاص المجتمعات التي تعاني كثيراً من الظلم السياسي، وقمع الحريات والاضطهاد، كما أنه يعدُّ وسيلةً من وسائل تحقيق الأمن الاجتماعي، فهو الضامن بعد الله في حل قضايا الفساد وسوء السلوك ونحو ذلك، وفي هذا حماية المجتمع والنظام السياسي أيضاً.

#### الأمر الثاني: ترسيخ مبدأ الولاء والبراء

كانت السمة الغالبة على مجتمع العرب في الجاهلية ارتباطهم فيما بينهم برابطة القبيلة والدم،

<sup>19</sup> سيد قطب، في ظلال القرآن، (القاهرة: دار الشروق، ط32، 1423هـ/2003م)، ص904.

<sup>20</sup> انظر: عبد العزيز مصطفى كامل، الحكم والتحاكم في خطاب الوحي، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1، 1415هـ/1995م)، ج1، ص351.

وهو أشبه ما يكون اليوم بالرابط الوطني أو السياسي، إلا أنهم غالوا في هذا الجانب كثيراً حتى وصلوا به إلى درجة التعصب، فلا ولاء ولا نصرة عندهم إلا للقبيلة والدم فقط<sup>21</sup>.

وعندما نزل القرآن أكد في خطابه السياسي على مقصد إقامة سيادة الدين وذلك من خلال ترسيخ مبدأ الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، والبراءة من جميع الأفكار الجاهلية، خصوصاً ما كان منها قائماً على العصبية للدم والنسب. أي بمعنى أن الولاء الحق هو ما كان قائماً على نصرة المؤمنين ومحبتهم وتأيدهم<sup>22</sup>. قال تعالى مشيراً إلى هذا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾ [التوبة: 23]. اختلف المفسرون في معنى الآية، ومما ذكره الطبري في تفسيره أنها نزلت في من أسلم من أهل مكة إلا أنه بقي فيها مُقَدِّماً للولاء للآباء والإخوان على الولاء لله ورسوله، وذلك بترك النفي والهجرة إلى مقام رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين بالمدينة<sup>23</sup>. يتبين لنا مما سبق أن هذه الآية متعلقة بأهل مكة، إلا أنه قد يقول قائل ما علاقة هذا الأمر الذي كان قد وقع في بدايات الهجرة مع سورة التوبة، حيث إنها تُعتبر من أواخر السور نزولاً، حتى أن الرازي علّق على هذا الكلام في تفسيره فقال: "هذا مُشكّل"، لأن الصحيح أن هذه السورة إنما نزلت بعد فتح مكة، فكيف يمكن حمل هذه الآية على ما ذكره؟<sup>24</sup>. والذي يظهر أن الآية السابقة جاءت بهدف الكشف عن أن الخطاب السياسي في القرآن يقوم باستحضار الشواهد التاريخية التي حدثت في الماضي لبلورة موقفٍ معينٍ تجاه قضيةٍ معينةٍ في الزمن الحاضر، فتكون المواقف السياسية الآتية هادفةً إلى تحقيق سيادة الدين، والتمثل بمبدأ الولاء والبراء، وهو هنا يقوم بتنبيه المجتمع المسلم بالمدينة على أهمية اتخاذ موقفٍ ثابتٍ تجاه المنافقين، ولو كانوا من أهلهم وأقاربهم، وذلك بهدف ضمان أمن وسلامة المجتمع، يقول سيد قطب مشيراً إلى هذا المعنى: "إن هذا القرآن يُربي الفرد المسلم على أساس إخلاص ولاءه لربه ورسوله وعقيدته وجماعته المسلمة. وعلى ضرورة المفاصلة الكاملة بين الصف الذي يقف فيه وكل صف آخر لا يرفع راية الله"<sup>25</sup>.

<sup>21</sup> انظر: صالح أحمد العلي، تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، (بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط1، 2000م)، ص189.

<sup>22</sup> انظر: محمد سعيد الفحطاني، الولاء والبراء في الإسلام، تقديم: عبد الرزاق عفيفي، (الرياض: دار طيبة، ط6، 1413هـ)، ص89.

<sup>23</sup> انظر: محمد بن جرير بن يزيد الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (القاهرة: دار هجر، ط1، 1422هـ/2001م)، ج11، ص383.

<sup>24</sup> محمد الرازي بن عمر، تفسير الفخر الرازي، (بيروت: دار الفكر، ط1، 1401هـ/1981م)، ج16، ص19.

<sup>25</sup> سيد قطب، في ظلال القرآن، ج2، ص907.

وقد أكد الخطاب السياسي في القرآن مرةً أخرى على مدى أهمية تعزيز مقصد الولاء والبراء، ولهذا أشار إلى بعض الأسس التي يجب أن تُبنى عليها الروابط الإنسانية، والعلاقات السياسية، فقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: 71]. في هذه الآية دلالةً على أن الله جعل الولاء الإيماني قاعدةً ومُنطلقاً تُبنى عليها العلاقات، ولهذا نجد أن رسول الله ﷺ لم يكن ولاءه أبداً مبنياً على الأرض والوطن، ولو كان ذلك كما هاجر من مكة وهي مرتع صباه، ولو كان ولاءه أيضاً للدم والنسب لما قاتل أبناء عمومته وقربته، وهذا يعني أن الولاء مبنٍ على الدين والعقيدة فقط، وبتطبيق هذا الأمر واقعاً حياً بين المؤمنين يكون له أعظم الأثر في تعزيز السيادة الدينية في نفوسهم، ثم حمايتهم من مخاطر الانتماء لغير الجماعة المؤمنة، ما يكون مُؤداه النهائي التفكك الاجتماعي والسياسي لاحقاً.

وقد يقول قائلٌ ما الرابط بين السياسة وبين عقيدة الولاء والبراء! الذي يظهر لنا أن الخطاب السياسي في القرآن جاء ليصنع المواقف السياسية لدى المجتمعات وليجعلها في قالبٍ عقديٍّ بحتٍ، فتكون المواقف السياسية التي ينطلقون منها نصرةً للقضايا الإسلامية قائمةً على قاعدةٍ إيمانيةٍ بعيدةٍ عن الانتماءات الضيقة كالوطنية والقبلية، أو طلباً لبعض المصالح والمكاسب الدنيوية، وهذا يعني أن الولاء والبراء يعتبر وسيلةً من وسائل الدفاع عن أراضي المسلمين فيتحقق بذلك مقصد الخطاب السياسي الذي جاء القرآن من أجل تحقيقه.

#### المقصد الثاني: تهذيب شخصية الحاكم

يعتبر الحاكم المسلم من أهم الشخصيات التي تلعب دوراً بارزاً في انتظام شؤون الحكم والسياسة، بل قد يكون صاحب الدور الأبرز على الإطلاق وذلك لما يملكه من سلطةٍ وإرادةٍ، ويده النظر في أحوال الناس. وبسبب هذا الأمر عنى العلماء السابقون ببيان حال الحاكم، ومن ثم أشاروا إلى الصفات التي يجب عليه أن يتميز بها دوناً عن غيره من الأفراد حتى يكون قادراً على إدارة شؤون البلاد والعباد، وذكروا منها أموراً كالعلم، وسلامة الحواس، والحرية ونحو ذلك<sup>26</sup>. من هذا المنطلق جاء الخطاب السياسي في القرآن بقصد تهذيب شخصية الحاكم، ومحاولة استصلاح حاله، وذلك من خلال السعي إلى تحقيق عدة أمور:

#### الأمر الأول: تعزيز قيم العدل والمساواة

<sup>26</sup> انظر: الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص5. وانظر: أبو المعالي الجويني، غياث الأمم في التياث الظلم، تحقيق: مصطفى حلمي، فؤاد عبد المنعم، (القاهرة: دار الدعوة، د.ط، د.ت)، ص60.



عندما جاء القرآن بخطابه السياسي قام بتعزيز مبدأ العدل كقيمة أخلاقية لا غنى عنها أبداً، ليس ذلك على مستوى الحكم فحسب، بل حتى مع النفس والذات أيضاً، فالعدل بهذا المفهوم إذاً يستوعب أبعاداً مختلفةً يشمل جميع الأقوال والأفعال من عباداتٍ ومعاملاتٍ، وقد أشار الله ﷻ إلى هذا فقال: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا﴾ [الأنعام:152].

وإذا نظرنا إلى العدل فيما يتعلق بالجانب السياسي، فإنه يعتبر من لوازم الحكم الراشد دائماً، ولهذا جاءت الشرائع السماوية، ثم القوانين الدولية بالدعوة إلى تحقيقه بين أفراد المجتمع، والقيام به خير قيام<sup>27</sup>. ولا أدل على ذلك من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء:58]. يقول وهبة الزحيلي في تفسيره: "وأجمعت الشرائع السماوية على وجوب إقامة العدل، فعلى الحاكم وأتباعه من الولاة والموظفين والقضاة التزام العدل، حتى تصل الحقوق لأهلها"<sup>28</sup>. من خلال الآية السابقة يتبين لنا أن هناك ثمة خطاباً سياسياً جاء به القرآن يهدف إلى تهذيب شخصية الحاكم، وذلك بإلزامه بمبدأ العدل، وأداء الأمانات إلى مستحقيها، وفي هذا إشارةً إلى قيمة العدل في الإسلام، وأنه لا يستثني أحداً، وخاصةً أهل الحكم والرأي، فهم المخاطبون أولاً بتحقيقه في ذواتهم قبل مطالبة المجتمعات والأفراد بأداء ما عليهم من حقوقٍ وواجباتٍ، ولهذا جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل»<sup>29</sup>. وهذا يعني أهمية اتصاف الحاكم بهذه الصفة، فهو إن كان عدلاً في نفسه وأسرته انعكس هذا على أفراد المجتمع بعد ذلك.

وتكمن أهمية العدل في بُعد الخطاب السياسي أنه يعدُّ وسيلةً من وسائل تحقيق الأمن لدى الناس، فإذا رآوا العدل صفةً ملازمةً للحاكم، وأن الجميع سواسيةً أمام القانون والقضاء انعكس ذلك إيجاباً عليهم في التطوير والعمران والتجارة ونحو ذلك، وهذا ما أشار إليه الماوردي حيث ذكر أن من علامات صلاح الدنيا: "عدل شامل يدعو إلى الألفة، ويبعث على الطاعة، وتعمر به الأرض، وتنمى به الأموال، ويكثر معه النسل، ويأمن به السلطان"<sup>30</sup>. ما يعني

<sup>27</sup> انظر: محمد يوسف موسى، نظام الحكم في الإسلام، تحقيق: حسين يوسف موسى، (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط، د.ت)، ص154.

<sup>28</sup> وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (دمشق: دار الفكر، ط10، 1430هـ/2009م)، ج3، ص130.

<sup>29</sup> محمد بن إسماعيل البخاري، الصحيح، عناية: أبو صهيب الكرمي، (الرياض: بيت الأفكار الدولية للنشر، د.ط، 1419هـ/1998م)، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، وفضل المساجد، ص141، رقم660.

<sup>30</sup> علي بن محمد بن حبيب الماوردي، أدب الدين والدنيا، (بيروت: دار المنهاج، ط1، 1434هـ/2013م)، ص225.

أن الحضارة التي تنعم بها بعض المجتمعات اليوم تعتبر مؤشراً على قيام العدل فيها، فبالعدل وحده تقوم الأمم وتزدهر غالباً.

وبناءً عليه يمكن القول أن القرآن بخطابه السياسي جاء بهدف تعزيز قيمة العدل بمفهومه العام والشامل، إلا أن الخطاب السياسي فيه تحديداً أشار إلى أهمية هذه القيمة في مجال العلاقات القائمة بين الحاكم والمجتمع، وذلك لعلاقتها المباشرة بأداء الحقوق والأمانات، إضافةً إلى تطبيق الأحكام الشرعية على الناس، وفي العموم يعتبر العدل القاعدة التي يستند عليها أي حاكمٍ لاستمرار ملكه وديمومته، فلا يتصور البتة استمرار أي نظام حكمٍ مع وجود الظلم والقهر والبطش، يؤكد هذا المفهوم ما رواه ابن تيمية عن آخرٍ أنه قال: "الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة"<sup>31</sup>. وبهذا يتبين لنا مدى أهمية تهذيب شخص الحاكم في جانب قيامه بالعدل الذي نادى القرآن إلى تطبيقه، فبالعدل وحده يحفظ الحاكم ملكه من الزوال، وكذلك تعصم المجتمعات المسلمة من خطر الاضطرابات والفتن.

#### الأمر الثاني: تطبيق قاعدة الشورى

من الأمور التي كان يمدح عليها العرب في الجاهلية اعتمادهم على الشورى في تسيير شؤونهم، ولا أدل على ذلك من أن قريشاً كانت تتخذ داراً يُطلق عليها دار الندوة، وذلك بهدف عقد اللقاءات والمشاورات العامة فيما يحدث بينهم من أمورٍ، والملاحظ أنه مع ما كان يمر به هؤلاء من ضعفٍ علميٍّ إلا أنهم أدركوا مدى أهمية تحقيق الشورى، وأنه يعتبر وسيلةً من وسائل تهذيب شخصية الحاكم، وكبح جماح حكم الفرد المطلق، فلا ينفرد فردٌ دون غيره في اتخاذ القرارات، فتقع الاختلافات والانقسامات في المجتمع بعد ذلك<sup>32</sup>.

وعندما جاء القرآن بخطابه السياسي قام بالتأكيد على ضرورة الالتزام بالشورى باعتباره منهجاً قائماً على التكافل ومشاركة الفكر والرأي، وخاصةً فيما يتعلق بشؤون الناس السياسية والاجتماعية، قال تعالى مشيراً إلى هذا: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ

<sup>31</sup> أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت)، ص7.

<sup>32</sup> انظر: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، وآخرون، (القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2، 1375هـ/1955م)، ج1، ص125.

في الأمر ﴿ [آل عمران:159]. اختلف المفسرون في بيان معنى المشورة هنا، وما أورده الطبري في تفسيره نقلاً عن بعضهم قولهم: "أمر الله جل ثناؤه نبيه ﷺ بقوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾. بمشاورة أصحابه في مكايد الحرب، وعند لقاء العدو؛ تطيباً منه بذلك أنفسهم، وتألّفاً لهم على دينهم، وليروا أنه يسمع منهم، ويستعين بهم، وإن كان الله جلّ ثناؤه قد أغناه بتدبيره له أموره، وسياسته إيّاه، وتقويمه أسبابه عنهم"<sup>33</sup>. يتبين لنا من خلال الآية السابقة أن فيها ثمة خطاباً سياسياً يهدف إلى تهذيب شخصية الحاكم وذلك بإلزامه بالعمل بالشورى في القرارات المتعلقة بأمن المجتمع، وأنها تعتبر وسيلةً من وسائل تحقيق التلاحم الداخلي، فالشورى إذًا طلب الرأي من أهل الاختصاص والتجربة فيما يتعلق بشؤون الناس وأحوالهم<sup>34</sup>.

وما يؤكد على دور الشورى في حماية المجتمع أن الخطاب السياسي في القرآن جاء مرةً أخرى مذكراً بأن طلب المشورة من ذوي العقول هي الضامن بعد الله في مجاوزة الأخطار والفتن، قال تعالى مشيراً إلى قصة ملكة سبأ: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونَا﴾ [النمل:34]. قال القرطبي في تفسير الآية ثناءً على ملكة سبأ: "فأخذت في حسن الأدب مع قومها، ومشاورتهم في أمرها، وأعلمتهم أن ذلك مطرد عندها في كل أمر يعرض"<sup>35</sup>. وبهذا تبين لنا أن الآية السابقة تدل على أن الشورى تعتبر قاعدة العمل السياسي، فعن طريقها يستطيع الحاكم استظهار ما استبطن في عقول الناس، كما أنها تشير إلى حسن إدارة الحاكم، وأن العلاقة بينه وبين شعبه قائمة على مبدأ التكامل في الأدوار، وتبادل الآراء، ولهذا جعل كثير من العلماء والباحثين الشورى مبدأً من المبادئ الدستورية للحكم الإسلامي، وأصلاً من الأصول التي يقوم عليها<sup>36</sup>. فلا يتصور أبداً أن يقوم أي حكمٍ يدعي الإسلام بعدم استشارة أهل الخبرة والتجربة فيما أشكل من أمورٍ.

وقد يقول قائلٌ ما علاقة تطبيق الشورى بتهذيب شخصية الحاكم، وللإجابة على هذا السؤال يمكننا النظر إلى ما ذكره الله ﷻ في قصة موسى II مع فرعون، فقد جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ

<sup>33</sup> الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج6، ص188.

<sup>34</sup> انظر: عبد العزيز عزت الخياط، النظام السياسي في الإسلام، (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1420هـ/1999م)، ص89.

<sup>35</sup> محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، وآخرون، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1427هـ/2006م)، ج16، ص154.

<sup>36</sup> انظر: محمد سليم العوا، في النظام السياسي للدولة الإسلامية، (القاهرة: دار الشروق، ط2، 1427هـ/2006م)، ص176.

إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿﴾ [غافر: 29]. في هذه الآية إشارة إلى أن الفكر الذي يقوم على الرأي الواحد ما هو إلا نوعٌ من أنواع الفساد الذي دعت الشورى إلى معالجته، فالشورى تقوم على مبدأ تعدد الآراء لاستظهار الأفضل، والرأي الواحد يقوم على مبدأ العجب بالنفس، ولهذا فصاحبه يرى أنه ليس بحاجةٍ إلى مشاورة الآخرين ممن هم أقلُّ منه منزلةً، وهذا يعتبر مديلاً من مداخل التفرد والاستبداد بالحكم.

وبناءً عليه يمكن القول أن الخطاب السياسي في القرآن جاء لترسيخ فكرة أن الشورى تسعى إلى تهذيب شخصية الحاكم من خلال إلزامه بمشاورة الناس، وأن الحاكم وأفراد الناس ما هم في الحقيقية إلا سواسية، وإنما تمايزوا بما في عقولهم من علمٍ وحكمةٍ وتجربةٍ، فهم إذاً في حاجةٍ إلى تكميل بعضهم البعض دائماً، فيكمل كل صاحب رأيٍ رأي الطرف الآخر، ولا يلزمه بشيءٍ، وهذا يعني أن الشورى تعتبر الطريقة المناسبة التي يمكن من خلالها معالجة دواعي الهوى التي قد تدفع بالحاكم إلى الكبر والغطرسة بسبب ما يملكه من نفوذٍ وصلاحياتٍ، فهي التي تقف حائلاً أمامه دون ممارسة الاستبداد والتفرد بالرأي الواحد في المجتمع.

### المقصد الثالث: إعادة تشكيل هوية المجتمع

يعتبر المجتمع بكافة أفراد وأطيافه القاعدة التي يستمد منها أي حاكمٍ قوته وشوكته، فإذا صلح حال المجتمع استقر معه نظام الحكم، وانشغل الجميع بعد ذلك بالبناء والعمران، ولهذا فإن من أهم المقاصد التي جاء بها الخطاب السياسي في القرآن دعوته إلى إعادة تشكيل هوية المجتمع<sup>37</sup>. بما يتواءم مع ما جاء به الإسلام من أهدافٍ، فالإسلام برسالته السامية لا يمكن له أن يتحقق على أرض الواقع بين مجتمعٍ يعتبر غير قادرٍ على أحداث التغيير في داخله، فكيف يسعى إلى محاولة التغيير في الآخرين، لذا فإن إعادة تشكيل هوية المجتمع لا يمكن لها أن تتم إلا من خلال تحقيق عدة أمورٍ:

### الأمر الأول: ترسيخ فكرة الوحدة والاجتماع

من المبادئ العظيمة التي نادى الإسلام بها دعوته إلى توحيد الصف وجمع الكلمة بين أفراد المجتمع الواحد، وعلى قدر العناية بهذا الجانب تقوى الأمة ويتحقق أمنها واستقرارها ويهاجمها الأعداء، ولا يستطيع أحدٌ النيل من أي مجتمعٍ إلا

<sup>37</sup> المقصود بهوية المجتمع هنا هو إحساسه بقدره بنفسه وقيمته ومن ثم محافظته على سلوكياته وأفكاره، وهذا الذي جاء الإسلام محاولاً إعادة تشكيله من جديد بما يوافق النظرة الإسلامية للفرد والجماعة، انظر: أحمد مختار عمر، وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، (القاهرة: عالم الكتب، ط1، 1429هـ/2008م)، ج3، ص2372.

وكان التفرق والتشردم بين صفوف أفراده سبباً لذلك، ولهذا جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»<sup>38</sup>.

ولأهمية هذه المسألة نجد أن القرآن في خطابه السياسي جاء بقصد إعادة تشكيل هوية المجتمع من خلال تقريره لمبدأ الوحدة والاجتماع، وأنه سبيل التآلف والتلاحم دائماً، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران:103]. قال الطبري في تفسيره: "يعني بذلك جلّ ثناؤه: وتعلّقوا بأسباب الله جميعاً. يريد بذلك تعالى ذكره: وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عهده إليكم في كتابه إليكم، من الألفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله"<sup>39</sup>. في الآية السابقة نوعٌ من الخطاب السياسي الذي يرشد الأمة إلى قيمة الاجتماع، وأن تكون كتلةً واحدةً قوامها الوحدة والاعتصام.

ومع الحاجة إلى الوحدة والاجتماع إلا أن الخطاب السياسي في القرآن لم يترك هذا الأمر هكذا بلا ضابطٍ ولا شرطٍ، بل أشار إلى أن الاجتماع لا يعتبر محموداً في ذاته إلا ما كان منه مقروناً بدين الله وحده، يؤكد هذا المعنى ما حكاه الله ﷻ عن حال اليهود واجتماعهم مع المنافقين على سبيل القدح والدم، قال تعالى: ﴿تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر:14]. يقول عبدالرحمن الميداني هنا: "تقتضي المفاهيم الدينية التي دلت عليها النصوص الإسلامية، بأن الأصل هو وحدة المجموعة البشرية، بشرط التقائها على الإيمان بالله الخالق الواحد الأحد"<sup>40</sup>. وبهذا يتبين لنا أن ترسيخ فكرة الوحدة والاجتماع في أذهان الناس يعتبر أمراً مهماً لإعادة تشكيل هوية المجتمع، فهي الخطوة الأولى لبناء كيان الأمة الواحدة، فيها تتحقق مصالح الأمة العليا من القدرة على أداء العبادات الجماعية، وكذلك الجهاد والمدافعة أمام الأعداء، وأي اجتماع للكفار على المسلمين وإن بدا في الظاهر قوته وتماسكه إلا أنه في الحقيقة اجتماعٌ مبنيٌّ على عقيدةٍ باطلةٍ فكان لا بد فيه من التنازع، والفشل.

ومما يميز به الخطاب السياسي في القرآن نظرتة الشمولية لقضية الوحدة والاجتماع، فجاء بتقديم مصلحة الأمة العليا على أية مصلحةٍ، بدلالة أن الاجتماع قد يقتضي منه أحياناً أن يكون مع من نختلف معهم فكراً ومنهجاً،

<sup>38</sup> مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين، ج2، ص1201، رقم2586.

<sup>39</sup> الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج5، ص643.

<sup>40</sup> عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الأمة الربانية الواحدة، (بيروت: مؤسسة الريان، ط2، 1416هـ/1996م)، ص11.



وذلك بهدف الدفاع المشترك عن الأرض، وبناء وحدة المصير، ومثال ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ [التوبة:43] قال الطبري في تفسير الآية: "وهذا عتابٌ من الله تعالى ذكره، عاتب به نبيه ﷺ في إذنه لمن أذن له في التخلف عنه، حين شخص إلى تبوك لغزو الروم، من المنافقين"41. ووجه الاستدلال هنا أن الله ﷻ عاتب رسوله عندما أذن لبعض المنافقين بالعودة وعدم الخروج معه إلى غزوة تبوك، ما يعني أنهم مخاطبون أيضاً بالاجتماع مع المسلمين للدفاع عن المدينة تحت راية واحدة وقيادة واحدة.

وبناءً عليه يمكن القول إن الخطاب السياسي في القرآن يهدف إلى إعادة تشكيل هوية المجتمع من خلال السعي إلى بناء الأمة المسلمة بناءً إيمانياً صحيحاً وذلك عن طريق الاجتماع والاعتصام بحبل الله ﷻ المتين حتى مع وجود بعض الاختلافات البسيطة بين مذاهب الأمة وطوائفها المتعددة، وذلك لأن المجتمع المسلم مهما كان متعدد الطوائف والأعراق والأجناس فإنه لن يُعَدَم أبداً وجود منطلقات إنسانية مشتركة بين كافة أطيافه وأحزابه - كوحدة الأصلي الإنساني، ثم وحدة العقيدة - قد تساهم في صناعة الوحدة والاجتماع<sup>42</sup>. ولو كان ذلك على الحد الأدنى إن صدقت النيات وانطلقت العزائم، لأن التشردم وقت الحروب والأزمات يعني زوال الجميع، ولهذا يمكن القول إن الوحدة والاجتماع هما من أعظم أسباب حماية المجتمعات دائماً، كما أنهما مفتاح صناعة المجد والحضارة.

#### الأمر الثاني: ترشيد مبدأ الطاعة

بالنظر إلى الخطاب السياسي في القرآن نجد أنه لم يأت بضبط علاقة الأفراد مع بعضهم البعض فقط، بل جاء أيضاً بضبط علاقة الأفراد مع قائدهم، والمقصود به هنا الحاكم، أو من ينوب عنه في إدارة الأمور، وقد أشار الله ﷻ إلى هذا فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء:59]. اختلف المفسرون في بيان معنى أولي الأمر هنا على عدة أقوال، أجمعها ما ذكره رشيد رضا في تفسيره حيث قال: "المراد بأولي الأمر جماعة أهل الحل والعقد من المسلمين وهم الأمراء والحكام والعلماء ورؤساء الجند وسائر الرؤساء والزعماء الذين يرجع إليهم الناس في الحاجات والمصالح العامة فهؤلاء إذا اتفقوا على أمر أو حكم وجب أن يطاعوا فيه بشرط أن يكونوا منا وألا

<sup>41</sup> الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج11، ص477.

<sup>42</sup> انظر: عمر يوسف حمزة، أحمد عبد الرحيم السايح، معالم الوحدة في طريق الأمة الإسلامية، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1413هـ/1993م)، ص77.

يخالفوا أمر الله ولا سنة رسوله ﷺ<sup>43</sup>. والمفهوم من هذا الكلام أمران، الأول: أن أولي الأمر جماعة تميزوا عن غيرهم بأمرٍ من أمور الدين أو الدنيا، ثم كانت لهم صفةً سياسيةً بعد ذلك توجب طاعة المجتمع لهم. الثاني: أن الطاعة لهذه الجماعة إنما هي في المعروف وعلى قدر التزامهم بشرع الله ﷻ وأحكامه، وكلما نقصت طاعتهم لله كان نقص طاعة المجتمع لهم تبعاً لذلك. ومما يستأنس به هنا ما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يا معشر قريش، فإنكم أهل هذا الأمر، ما لم تعصوا الله، فإذا عصيتموه بعث عليكم من يلحاكم<sup>44</sup> كما يلحى هذا القضيب»<sup>45</sup>. يمكننا القول أن الخطاب السياسي في الآية السابقة يهدف إلى إعادة تشكيل هوية المجتمع وذلك باعتبار الآية قاعدةً عامةً، وأصلاً من أصول مبدأ ترشيد طاعة الحاكم<sup>46</sup>. وذلك لأنها جعلت الطاعة مقيدةً بطاعة الحكام لله ولرسوله، ثم بما يحقق مصلحة مجموع الأمة، لا مصلحة فردٍ بعينه، فينتظم بذلك أمر المجتمع ويكون مستقلاًً بفكره وذاته، بعيداً عن مظاهر الغلو والمبالغة في طاعة الأفراد أياً كانت مناصبهم السياسية أو الاجتماعية.

والذي يظهر لنا أن الذي تفرّد به الخطاب السياسي في القرآن دوناً عن غيره، وفي هذا الجانب تحديداً أنه جاء مؤصلاًً لمبدأ الوسطية والاعتدال في الطاعة، وكذلك تقديره للكرامة الإنسانية، وللدلالة على هذا فإن المجتمع المسلم في سياق الخطاب السياسي القرآني يعتبر غير تابعٍ لأي أحدٍ هكذا بلا قيدٍ ولا شرطٍ، وهذا يعني أن الطاعة في الحقيقة إنما هو عمليةٌ مشتركة بين الحاكم والمحكوم بهدف الارتقاء بالمجتمع نحو المكان اللائق به، والدليل على هذا هو أن الله ﷻ قبل أن يذكر آية الطاعة السابقة ذكر قبلها قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ

<sup>43</sup> محمد رشيد رضا، تفسير المنار، (القاهرة: دار المنار، ط2، 1366هـ/1947م)، ج5، ص181.

<sup>44</sup> اللحي أو التلاحى بمعنى التقاتل أو التشاجر على الحكم، وهو كنايةٌ عن الإزالة. انظر: أبو معاذ طارق بن عوض الله، المعجم المفسر لكلمات أحاديث الكتب التسعة، (الكويت: دار الخير، ط1، 1432هـ/2011م)، ص430.

<sup>45</sup> أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين، (بيروت: دار الرسالة، ط1، 1421هـ/2001م)، ج7، ص388، مسند عبد الله بن مسعود، رقم4380، قال المحقق: إسناده ضعيف لانقطاعه.

<sup>46</sup> الترشيح هنا بمعنى الاقتصاد في الشيء، وهو ضد الاسراف والمبالغة ومجازة الحد، انظر: أحمد مختار عمر، وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج2، ص894.

النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴿النساء:58﴾. مما سبق يمكننا القول إنه على قدر ضعف الحاكم في تحقيق جانبي الأمانة والعدل في سياسة الناس وإدارة شؤونهم يكون قرار محاسبته أمام القانون والمجتمع<sup>47</sup>.

وقد يقول قائلٌ ما قصد الخطاب السياسي في القرآن من ترشيد مبدأ طاعة الحاكم هنا، والجواب على هذا فيما يظهر عائداً إلى مركزية المجتمع المسلم باعتباره صاحب السلطة الحقيقية، وما الحاكم إلا مجرد وكيلٍ عنه، يستمد سلطانه منه، ولهذا فإن المجتمع يمتلك قرار بقاءه أو عزله - بالطرق المشروعة - ما لم يلتزم بما تعهد به، فجاء هذا الخطاب السياسي متوجهاً إلى المجتمع رغبةً في بناءه بناءً إسلامياً صحيحاً حتى يكون قادراً على اختيار من ينوب عنه، ويتولى شؤونه، يشير عبد الوهاب خلاف إلى هذا المفهوم فيقول: "ال خليفة إنما يستمد سلطانه من الأمة الممثلة في أولي الحل والعقد ويعتمد في بقاء هذا السلطان على ثقتهم به ونظره في مصالحهم"<sup>48</sup>. فالمجتمع إذاً هو الرقيب على أفعال الحاكم وتصرفاته. وبناءً عليه يمكن القول أن إعادة تشكيل هوية المجتمع يجب أن يكون من خلال بناءه بناءً إسلامياً صحيحاً، ولهذا فإن أي دعوة تريد من المجتمع المسلم أن يكون مجرد تابع لشخص الحاكم فقط دون مراقبة ومحاسبة حقيقية له ولأفعاله هي التي جرّت على الأمة الويلات اليوم، وذلك لأنها تقوم بدم أصلي من أصول الإدارة الحديثة بدعوى موهومة وهي الطاعة المطلقة، أو الخوف من الوقوع في الفتنة، وفي الحقيقة فإن أي مجتمع يعتبر غير قادرٍ على محاسبة من ينوب عنه في إدارة شؤونه فهو مجتمعٌ مسلوب الإرادة، فكيف لمثله أن يكون صاحب رسالة، بله عن أن يقيم دولةً وحضارةً.

نتائج البحث: توصل البحث إلى النتائج التالية:

1- أهمية معرفة مقاصد الخطاب السياسي في القرآن، حيث إنها جاءت لتمثيل وتحقيق المقاصد الشرعية على وجه العموم، والتي أمر الله ﷻ عباده بالبحث عنها، والنظر فيها طلباً للقيام بأداء رسالة الإسلام الإنسانية والحضارية بين الأمم.

<sup>47</sup> منير حميد البياتي، النظام السياسي في الإسلام، (عمان: دار النفائس، ط4، 1434هـ/2013م)، ص253. وانظر: الماوردى، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص24.

<sup>48</sup> عبد الوهاب خلاف، السياسة الشرعية، ص85.

- 2- استيعاب الخطاب السياسي في القرآن جميع جوانب السياسة العادلة، فهي تهدف إلى تعزيز السيادة الدينية في نظام أي حكم، ثم تسعى إلى تهذيب شخصية الحاكم، وأخيراً تهدف إلى إعادة تشكيل هوية المجتمع بما يتوافق مع مبادئ الإسلام وأهدافه.
- 3- الخطاب السياسي في القرآن يعتبر جانباً نظرياً أما الجانب العملي فيه فهو إنزاله على واقع المسلمين اليوم بهدف إصلاحه وإحداث التغيير فيه فهذا لا يتعلق بأحاديث الناس بل المسألة بحاجة إلى علماء وفقه وترو، وكم من مریدٍ للحق لا يصيبه.
- 4- يهدف الخطاب السياسي في القرآن إلى ما قد أشار إليه العلماء من أنه جاء بقصد حراسة الدين وسياسة الدنيا به، وهذا يعني أن السياسة الإسلامية وتطبيقها بشكلٍ جادٍ فيها تحقيق لمصالح البلاد والعباد، وحفظ لحقوق الحاكم والمحكوم أيضاً.

#### توصيات البحث:

- 1- النظر إلى جوانب أخرى متعلقة بمقاصد الخطاب السياسي في القرآن، ومن ثم إعادة البحث فيه، فقد تكون الأبحاث المكتوبة قبل سنواتٍ غير صالحةٍ لإنزالها على واقع الناس اليوم، وهذا يعني أن المسألة بحاجة إلى متابعةٍ وتحديثٍ وتطويرٍ.
- 2- سياسة الناس على الوجه الأمثل يعتبر من أشد الأمور تعقيداً اليوم، لهذا كان من الواجب عدم اختزال الحكم في فردٍ واحدٍ فقط، بل السعي إلى تحقيق الشورى وتوسيع دائرته حتى يشمل حملة الشهادات وغيرهم.
- 3- المحاولة الجادة لإصلاح المجتمعات الإسلامية بالطرق السلمية والحضارية، ولو سعى كل فردٍ إلى إصلاح نفسه أولاً لتغير حال الجميع نحو الأفضل، ولهذا عندما انشغل الفرد لإصلاح من هو أعلى منه ضاع الفرد والمجتمع والدولة.
- 4- النظر جيداً إلى فقه المآلات، وما أدى إليه الخروج على الحكام من اضطرابٍ وفتن، ولهذا فإن من الواجب الصبر على الظلم الواقع اليوم، ومحاولة رفعه بالدعاء والتربية، وهذا أفضل من أن تقع البلاد تحت طائلة التخريب والفوضى.

### المراجع والمصادر:

- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب. (1423هـ). **إعلام الموقعين عن رب العالمين**. مشهور بن حسن آل سلمان (تحقيق). ط1. الرياض: دار ابن الجوزي.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم. (د.ت). **الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية**. د.ط. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام. (1429هـ). **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية**. علي بن محمد العمران (تحقيق). ط1. الرياض: دار عالم الفوائد.
- ابن حنبل، أحمد. (1420هـ). **مسند الإمام أحمد بن حنبل**. شعيب الأرنؤوط (تحقيق). ط1. بيروت: دار الرسالة.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (1420هـ). **تفسير القرآن العظيم**. مصطفى السيد محمد (تحقيق). ط1. القاهرة: مؤسسة قرطبة.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن أحمد. (د.ت). **لسان العرب**. د.ط. بيروت: دار صادر.
- ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري. (1375هـ). **السيرة النبوية**. مصطفى السقا (تحقيق). ط2. القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
- البخاري، محمد بن إسماعيل. (1419هـ). **الصحيح**. أبو صهيب الكرمي (عناية). د.ط. الرياض: بيت الأفكار الدولية للنشر.
- البياتي، منير حميد البياتي. (1434هـ). **النظام السياسي في الإسلام**. ط4. عمان: دار النفائس.
- التهانوي، محمد علي. (1996م). **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**. رفیق العجم (عناية). ط1. بيروت: مكتبة لبنان.
- الجويني، أبو المعالي. (د.ت). **غياث الأمم في التياث الظلم**. مصطفى حلمي (تحقيق). د.ط. القاهرة: دار الدعوة.
- الحاج، عبد الرحمن. (2012م). **الخطاب السياسي في القرآن**. ط1. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- حمزة، عمر يوسف. السايح، أحمد عبد الرحيم. (1413هـ). **معالم الوحدة في طريق الأمة الإسلامية**. ط1. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.



- خلاف، عبد الوهاب. (1350هـ). السياسة الشرعية. د.ط. القاهرة: المكتبة السلفية.
- الخياط، عبد العزيز عزت. (1420هـ). النظام السياسي في الإسلام. ط1. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.
- الرازي، أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب. (1399هـ). معجم مقاييس اللغة. عبد السلام محمد هارون (تحقيق). د.ط. بيروت: دار الفكر.
- الرازي، محمد الرازي بن عمر. (1401هـ). تفسير الفخر الرازي. ط1. بيروت: دار الفكر.
- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني. (1385هـ). تاج العروس من جواهر القاموس. محمود محمد الطناحي (تحقيق). د.ط. الكويت: مطبعة حكومة الكويت.
- رضا، محمد رشيد. (1366هـ). تفسير المنار. ط2. القاهرة: دار المنار.
- الزحيلي، وهبة. (1430هـ). التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. ط10. (دمشق: دار الفكر.
- السلمي، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام. (د.ت). قواعد الأحكام في مصالح الأنام. طه عبد الرؤوف سعد (عناية). د.ط. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية.
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب. (1422هـ). جامع البيان عن تأويل آي القرآن. عبد الله بن عبد المحسن التركي (تحقيق). ط1. القاهرة: دار هجر.
- الطريقي، عبد الله بن إبراهيم. (1416هـ). مفهوم الطاعة والعصيان. ط1. الرياض: دار المسلم.
- العلي، صالح أحمد. (2000م). تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية. ط1. بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.
- العوا، محمد سليم العوا. (1427هـ). في النظام السياسي للدولة الإسلامية. ط2. القاهرة: دار الشروق.
- عطية، أحمد عطية الله. (1968م). القاموس السياسي. ط3. القاهرة: دار النهضة العربية.
- عمارة، محمد. (1429هـ). الإسلام والسياسة. ط1. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.
- عمر، أحمد مختار. (1423هـ). المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته. ط1. الرياض: مؤسسة سطور المعرفة.
- عمر، أحمد مختار. (1429هـ). معجم اللغة العربية المعاصرة. ط1. القاهرة: عالم الكتب.

- عوض الله، طارق. (1432هـ). المعجم المفسر لكلمات أحاديث الكتب التسعة. ط1. الكويت: دار الخير.
- الغزالي، محمد. (2005م). الإسلام والاستبداد السياسي. ط6. القاهرة: شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- القحطاني، محمد سعيد. (1413هـ). الولاء والبراء في الإسلام. عبد الرزاق عفيفي (تقديم). ط6. الرياض: دار طيبة.
- القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر. (1427هـ). الجامع لأحكام القرآن. عبد الله بن عبد المحسن التركي (تحقيق). ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- القرضاوي، يوسف. (2008م). دراسة في فقه مقاصد الشريعة. ط2. القاهرة: دار الشروق.
- قطب، سيد. (1423هـ). في ظلال القرآن. ط32. القاهرة: دار الشروق.
- القلعي، أبو عبد الله محمد بن علي. (1405هـ). تهذيب الرياسة وترتيب السياسة. إبراهيم يوسف مصطفى عجو (تحقيق). ط1. عمان: مكتبة المنار.
- كامل، عبد العزيز مصطفى. (1415هـ). الحكم والتحاكم في خطاب الوحي. ط1. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.
- الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني. (1419هـ). الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. عدنان درويش (عناية). ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- الماوردي، علي بن محمد بن حبيب. (1409هـ). الأحكام السلطانية والولايات الدينية. أحمد مبارك البغدادي (تحقيق). ط1. الكويت: مكتبة دار ابن قتيبة.
- الماوردي، علي بن محمد بن حبيب. (1434هـ). أدب الدين والدنيا. ط1. بيروت: دار المنهاج.
- مرزوق، عبد الصبور. (1415هـ). معجم الأعلام والموضوعات في القرآن الكريم. ط1. القاهرة: دار الشروق.
- الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة. (1416هـ). الأمة الربانية الواحدة. ط2. بيروت: مؤسسة الريان.
- النبراوي، خديجة. (1424هـ). موسوعة أصول الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي. ط1. القاهرة: دار السلام.
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج. (1427هـ). الصحيح. نظر محمد الفارياي (عناية). ط1. الرياض: دار طيبة.



e-ISSN: 2600-8394

VOL. 4. No. 4

Oct (1442-2020)

The purposes of political discourse in the Qur'an  
Radwan Jamal Elatrash – Mahir Ghazali

مسعود بو دوخه، جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن الكريم، (المغرب: المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن  
الكريم وعلومه)، ص956.  
موسى، محمد يوسف. (د.ت). نظام الحكم في الإسلام. حسين يوسف موسى (تحقيق). د.ط. القاهرة: دار الفكر  
العربي.